عجز الشيوعيون الفلسطينيون، في مثل هذه الظروف، عن تقدير دور دينامية الحركة الصهيونية الذاتية، كما عجزوا عن إدراك حقيقة الارتباط الوثيق بين مصالح ومصير الأقلية اليهودية في فلسطين وبين مشروع الحركة الصهيونية. وقد رأى الشيوعيون في الحركة الصهيونية حركة تعبر عن مصالح البرجوازية اليهودية وأداة في أيدي الامبريالية تستخدمها في قمع الحركة الوطنية العربية وإجهاض نضالها المعادي للامبريالية، ولم يتمكنوا، في تلك المرحلة، من رؤية الخطر الكامن في المشروع الصهيوني على المصالح المادية، وحتى على وجود الشعب العربي في فلسطين.

وانطلاقاً من هنا، فقد اعتقد الشيوعيون الفلسطينيون بأن مهمتهم تكمن في فضح وكشف ارتباط الحركة الصهيونية بالامبريالية البريطانية، وفي محاربة الأوهام التي كانت تشيعها الصهيونية، بين أوساط الجماهير اليهودية، حول إمكانيات نجاح مشروع «الوطن القومي اليهودي» في فلسطين. وقد ناضل الشيوعيون، في هذا السياق، من أجل تسعير حدة الصراع الطبقي وتسريع عملية التمايز الاجتماعي داخل التجمع الاستيطاني اليهودي، ودفع العمال اليهود لمحاربة البرجوازية اليهودية ومشروعها «الطوباوي» المرتبط بالمشاريع الامبريالية.

لقد اعتقد الشيوعيون بأن الطبقة العاملة اليهودية في فلسطين ستتوصل، عبر تجربتها الخاصة، إلى القناعة الأكيدة بأن مشروع البرجوازية اليهودية الرامي إلى إقامة الوطن القومي لن يكتب له النجاح أبداً، كما اعتقدوا بأن السيطرة الإيديولوجية والسياسية والتنظيمية للحركة الصهيونية على جماهير الأقلية اليهودية في فلسطين لن تدوم طويلاً؛ وانطلاقاً من هنا، بالغ الشيوعيون الفلسطينيون في إمكانيات سلخ العمال اليهود عن جسم الحركة الصهيونية، كما غالوا في إمكانيات تصفية الطابع «القومي» للحركة العمالية اليهودية في فلسطين[1].

لقد أقر الحزب الشيوعي الفلسطيني، ومنذ صيف العام ١٩٢٣، بالطابع الثوري للحركة القومية العربية في فلسطين، وأكد على ضرورة دعمها في النضال المعادي للامبريالية، غير أنه لم يطرح، بشكل واضح، مهمة العمل على تسلم قيادة النضال الوطني العربي التحرري في البلاد. وكان السبب في ذلك يعود إلى عوامل موضوعية ارتبطت بخصوصيات نشأة الحزب، وإلى عوامل ذاتية ارتبطت بعجز قيادته عن استيعاب حقيقة الموقف اللينيني بالنسبة لدور الشيوعيين في النضال الوطني التحرري المعادي للامبريالية الذي كانت تخوضه شعوب البلدان المستعمرة والتابعة.

فقد تبنى الشيوعيون الفلسطينيون، في ممارستهم العملية، خلال العشرينات، وجهة النظر «الانعزالية - اليسارية» التي عبر عنها الشيوعي الهندي «روي» في جداله الشهير مع لينين، في المؤتمر العالمي الثاني للأممية الشيوعية، في صيف العام ١٩٢٠، ولم يتمكنوا من استيعاب طبيعة المرحلة الثورية التي كانت تجابهها فلسطين[2]. فقد أكد الشيوعيون الفلسطينيون، بصورة رئيسية، على أهمية النضال الاجتماعي - الطبقي، وربطوا إنجاز مهمات الثورة الوطنية التحررية في فلسطين بإنجاز مهمات الثورة الاجتماعية، واعتقدوا،